

الفصل الخامس:

النمو العمراني لمدينة بسكرة:

فورة سريعة ومتباينة.

مقدمة:

بالنظر إلى التاريخ المديد الذي تمتاز به مدينة بسكرة وإلى قدم وجودها والموقع الهام الذي في الشبكة الحضرية للمنطقة حيث تشير (Agli ;N ;1988) احتلتها أن بسكرة قد عُمّرت من طرف شعوب كثيرة يعود تاريخها إلى 8000 سنة قبل الميلاد، كما قال (محمد بن الحسن الوزان الفاسي، 1983) أن بسكرة >> مدينة عريقة في القدم أسست أيام أن كان الرومان يحكمون بلاد البربر، وقد خربت بعد ذلك ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا وهي الآن عامرة كما ينبغي وسورها من الأجر النيء>>، ويقول ذات الباحث أنها كانت ضمن إقليم الزاب الذي كان يحوي عددا كبيرا من حدائق النخيل وعددا كثيرا من القرى وخمسة مدن كبرى، ويعتقد الباحث (P ;Baroch) أن بسكرة لم تعرف تعميرا حقيقيا إلا مع بدايات الفتح الإسلامي وانتشار الدعوة عام 680م.

كما أشار (رشيد بورويبة، 1977) أنه كانت للمدينة في عهد الحماديين سور من الطين مطوق بخندق وأرباض خارجه ولها ثلاثة أبواب يُعرف منهما اثنان فقط هما باب المقبرة وباب الحمام، وبها جامع وعدة مساجد وحمامات وآبار كثيرة وعذبة منها بئر في الجامع، وكان بناؤها من الطين.

وعليه فإننا سنعتمد دراسة التوسع العمراني للمدينة من خلال استعراضنا لثلاثة مراحل هامة شهدتها عبر تاريخها وأثرت في تحديد ملامحها ومعالمها من خلال استخراج خصائص ومميزات كل حقبة ووسائل التعمير حينها وهذا من أجل تحديد مضامينها ومدى موائمتها للظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية للمجتمع وقتئذ.

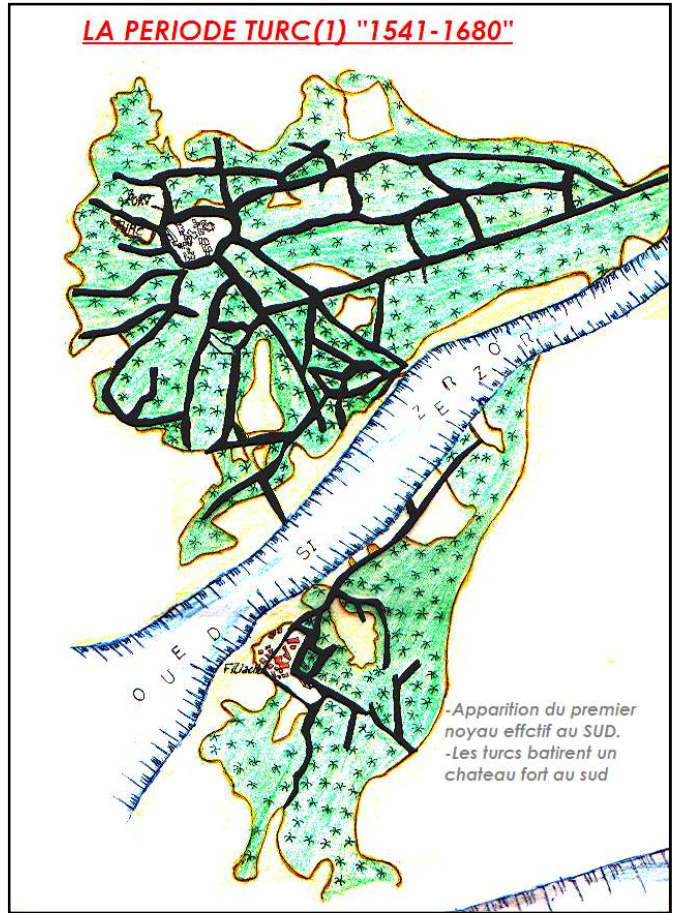
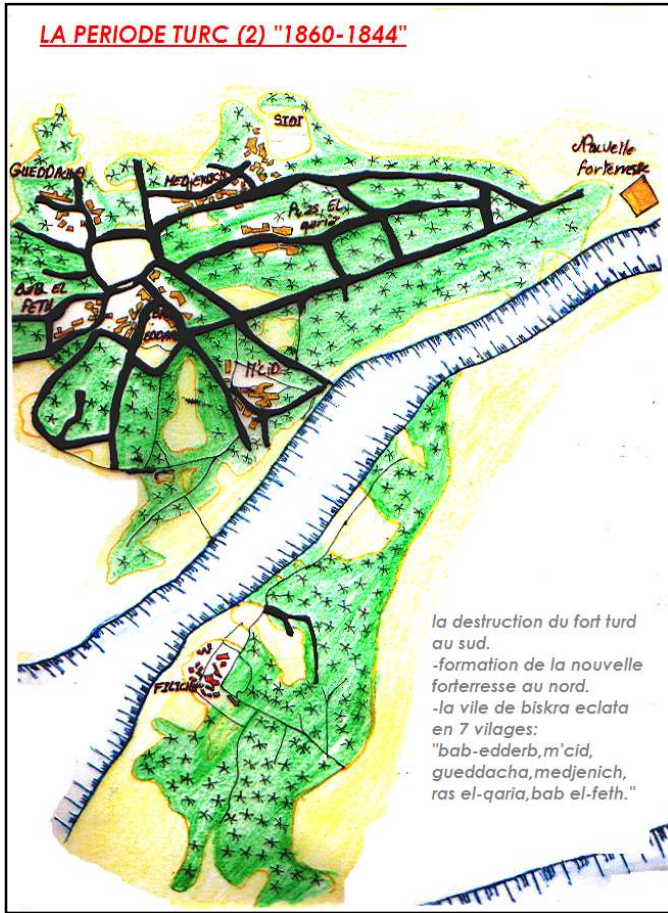
1- مرحلة ما قبل الاحتلال الفرنسي:

لا تتوفر مراجع مفصلة بشكل كاف عن وضعية المدينة في تلك الفترة، غير أن العقيد (سيروكا) يصفها بأنها كانت مجمعة حول القلعة التركية من جهة الجنوب، وكانت محاطة بخندق خال من المياه مما أدى إلى انتشار الوباء بها والذي كان سببا في هلاك العديد من السكان، ثم لم تلبث هذه القلعة أن تحولت إلى مجتمعات سكانية صغيرة تتوسط النخيل بمجموع سكاني يقدر بـ 4000 نسمة. انظر الشكلين (1) و(2).

أما العياشي فقد أشار إلى أن المدينة كانت تعج بالسكان الذي بلغ عددهم 10000 نسمة قبل أن يفتك بها ذلك الداء الذي قضى على 7000 نسمة منهم مما دفع بالبقية الباقية منهم إلى مغادرتها نحو الجهة الجنوبية والاستقرار داخل بساتين النخيل حيث يتوفر بها ظروف مناخية واقتصادية وصحية أفضل.

أما (الديب، ب، 2001) فقد رجح أن هذه الكتلة البشرية كانت مستقرة شمال المدينة لأن الحصن الجنوبي بمساحته وإمكانياته لا يمكنه استيعاب هذا العدد يومها، كما أشار أيضا إلى أنه >> لو تفحصنا جيدا المخططات المتوفرة لدينا حول المستوطنة الفرنسية في بداية تموضعها ولحد الآن لوجدنا بصمات واضحة لمجال عمراني مديني لا يعتمد الفرنسيون في مدنها، بل يدل

على وجود تجمع إنساني في هذا المكان قبل وصولهم...»، وما زاد الباحث تأكدا من صحة فرضياته هي ساحة السوق والمسجد المقابل لها اللذان يبدوان كظفرة في الشبكة الهندسية للمخطط الشطرنجي الذي يعد القاعدة الأساسية للمدينة الفرنسية، كما أن مساحة القلعة التركية بالجنوب لا يؤهلها لاحتواء هذا العدد الكبير الذي ذكره العياشي، كما أن التقنيات المتعلقة بالجانب المعماري آنذاك لم تكن تسمح بالامتداد بشكل رأسي. ويختتم الباحث قوله بأنه >> ثمة اعتقاد بأن هذه المستوطنة الفرنسية بُنيت على أنقاض مدينة أخرى كان يحكمها ويسيرها نظام اجتماعي يخالف نظام المحتلين على الأقل.<<



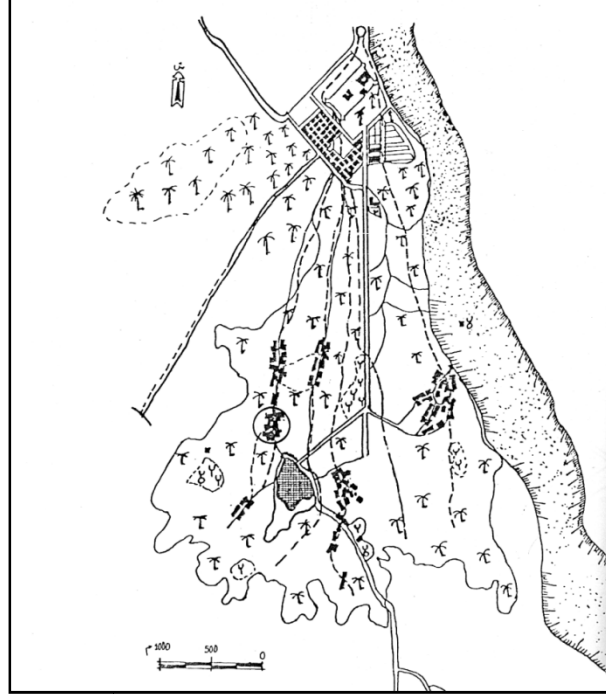
الشكل (2-1): الحقة الثانية: 1844/1680م.

الشكل (1-1): الحقة الأولى: 1680/1541م.

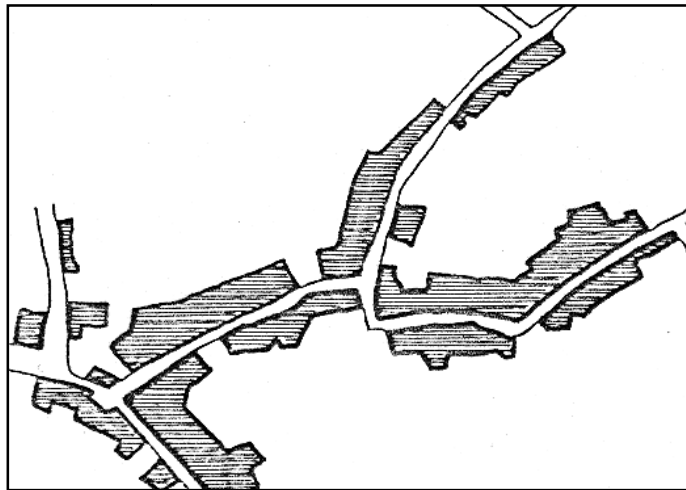
المصدر: مكتب الدراسات URBA/Batna

1-1- المجمعات الأولى لمدينة بسكرة:

وتشكلت هذه التجمعات الأولى أساسا بسبب الماء المتواجد والمنحدر عبر السواقي من شمال المدينة نحو البساتين المتواجدة يومها بالمدينة، ثم أخذت هذه التجمعات بالتوسع والنمو بشكل شريطي ممتد على طول هذه السواقي التي تحولت في وقت لاحق إلى شوارع رئيسية تخترقها وتتفرع منها شوارع أخرى ثانوية.



الشكل (3-V): مجمعات بسكرة الأولى.
المصدر: الديب، ب، 2001.



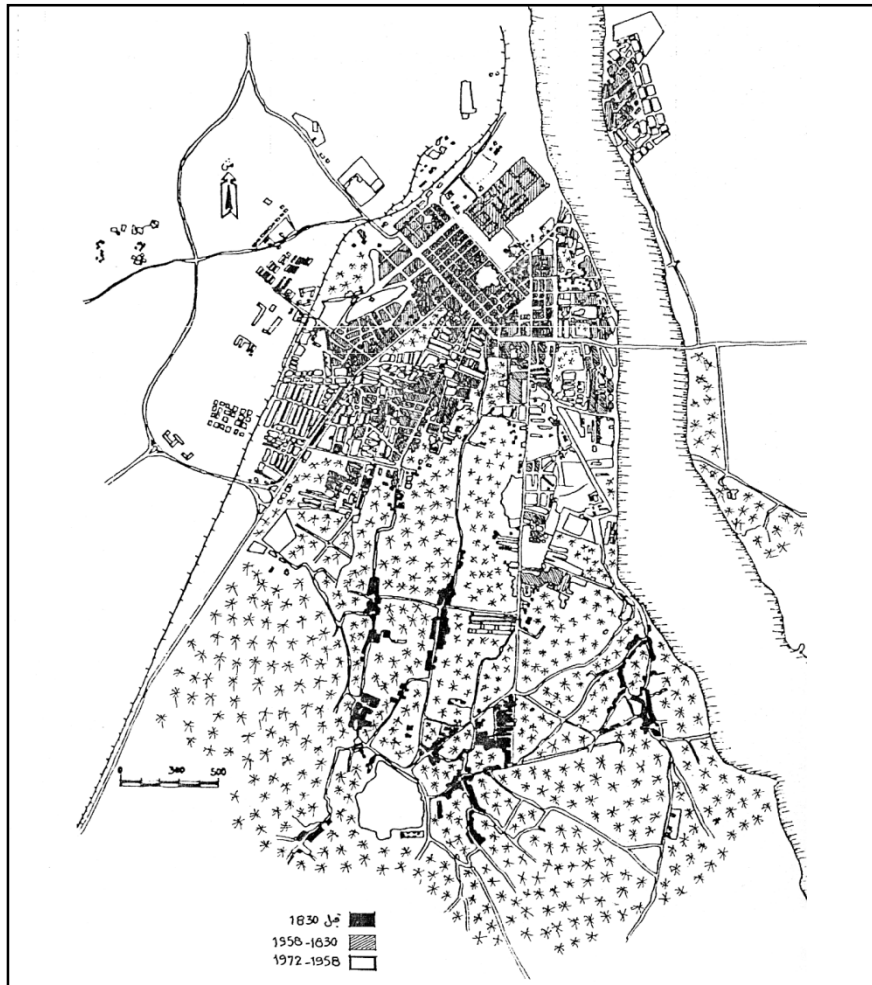
الشكل (4-V): تشكل المجال المبني لمجمعات بسكرة الأولى.
- مجمع حي باب الدرب -
المصدر: خريطة بسكرة 1958م.

وما يلاحظ على هذه المخططات هو عدم خضوع التخصيصات بها لأي نظام هندسي، بل إن الاعتناء بضمان التموين بالماء جعل من السواقي تلعب الدور المهيكل بها بحيث تأتي السكنات متراسة على طول المجرى المائي وتبقى البساتين في الخلف، كما أن هذه السكنات تكسوها سمة الوحودية حيث نجد أغلبها ذات ارتفاع واحد بطابق وحيد ومداخل على الشارع مباشرة وأخرى على ممرات عمودية ملتوية، والواجهات ذات فتحات صغيرة ومرتفعة، ومادة البناء المحلية من الطوب النيء والخشب وسعف النخيل وجذوعها وهذا ما يجعلها تبدو مدمجة مع الواحة ومنسجمة معها إلى حد بعيد.

(1-2)- المدينة القديمة (بسكرة القديمة):

أ- معطيات عامة:

وهي مجموعة من الأحياء ذات البعد التاريخي الذي يرجع إلى العهد التركي، وتتربع هذه الأحياء على مساحة تقدر بـ 531,87 هكتارا في الناحية الجنوبية من المدينة الحالية التي ترتبط معها عبر شريان حيوي هو شارع الحكيم سعدان الذي يعود تاريخ شقه إلى ما قبل المرحلة الاستعمارية، حيث يشهد هذا الشارع حركة تجارية مكثفة وتتوزع على أطرافه نقاط النقل الحضري وبعض المرافق العمومية.



الشكل (5-V): خريطة بسكرة لسنة 1972م وظهور الأحياء العتيقة.

المصدر: الديب، ب، 2001.

ويُسجَل على مستوى هذه الأحياء تدني الظروف المعيشية التي يحظى بها السكان الذين يقدر عددهم حسب المصالح التقنية لولاية بسكرة بـ 23300 نسمة، ويُرجع المختصون السبب في تدني أحوالهم المعيشية إلى قدم المجال المبني وضعف مستويات الدخل وكذلك البعد عن مركز المدينة أين تتركز معظم الخدمات والمرافق الضرورية، والجدول الآتي يتضمن بعض المعطيات الهامة بالنسبة للسكان موزعين على الأحياء السبعة:

الازدحام	حجم الأسرة	الكثافة		عدد السكان	عدد السكان	المساحة (هـ)	معطيات مجمعات قداشة
		س/هـ	ن/هـ				
1,79	5,44	9,98	38,73	328	1415	36,53	قداشة
2,32	7,48	20,83	100	320	1974	19,75	مجنيش
2,44	7,89	19,14	115,12	817	4835	42	رأس القرية
2,30	7,20	19,33	106,5	738	4065	38,17	سيدي بركات
/	/	3,46	17,75	607	2956	166,5	باب الدرب
/	/	12,63	65,11	954	4916	75,5	مسيد
/	/	3,33	20,46	511	3139	153,45	باب الفتح

الجدول (1-7): معطيات عامة حول أحياء المدينة القديمة.

المصدر: الديب، ب، 2001.

ب - البيئة الداخلية للمسكن التقليدي:

ونعني به المجالات الداخلية التي يتشكل منها المسكن التقليدي، وما يلاحظ على هذه المجالات أنها تنظم إلى حد بعيد وفق المعطيات الاجتماعية والثقافية والمناخية، وهذه المجالات وفق ما جاء عند (الديب، ب، 2001) هي كالتالي:

* وسط الدار:

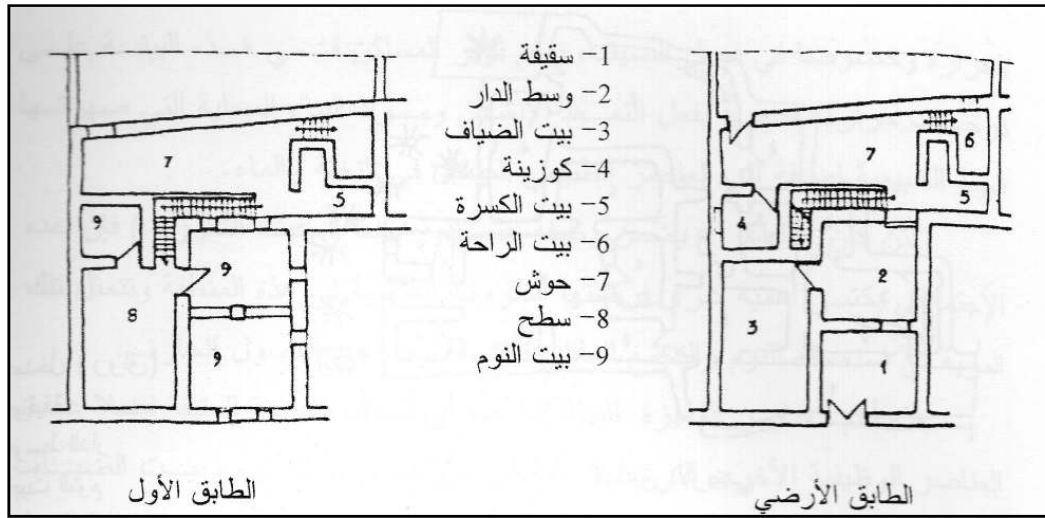
وهو المجال الأكثر أهمية ويلعب دورا مهما وحيويا في الحياة اليومية لسكان المسكن التقليدي بحيث يضمن إلى حد بعيد التواصل الاجتماعي بين كل أفراد العائلة، وما زاده أهمية هو احتلاله قلب المسكن حيث يكون مدعما بعنصر معماري ذي طابع محلي وبهدف مناخي هو الروزنة الذي يكون عاليا لضمان الإضاءة والتهوية وحجب أشعة الشمس خصوصا في الفصول الحارة، وقد صنف الدكتور الديب هذا المجال ضمن المجالات المعيشية الناجحة إلى أبعد المستويات وخاصة في تكيفه مع المعطيات المناخية ونمط معيشة الأسرة في هذه المدينة. وقد أرجع الباحث سبب وجود هذا العنصر المعماري إلى نمط الأسرة السائدة هي مثل هذا النوع من المدن فقال >> إن نمط الأسرة الكبيرة أو الممتدة التي مازالت تحظى في هذه المدينة بنسبة لا بأس بها كان له الأثر الواضح في التشكيل المعماري الذي انعكس على الجانب العمراني بواسطة المسكن الممتد الذي يضم في غالب الأحيان مجموعة مجالات متداخلة تشكل في عمومها مسكنا جامعا يحوي المجالات الوظيفية الأساسية التي تتجمع حول وسط الدار.<< وبسبب غياب اللمسة الفنية التقليدية وكذا تغير نمط الأسرة فإن هذا المجال لم يعد يحمل نفس المدلولات الاجتماعية والثقافية التي كان يحظى بها وسط المساكن القديمة في البيئة التقليدية.

* السقيفة:

وهو مجال أولي يأتي في مقدمة المسكن هدفه كسر الرؤية وحجبها من الخارج نحو الداخل، وهذا المجال هو نتاج فعلي وتعبير حقيقي لمبدأ الحشمة وتقديس الحرمة، وهو مجال بسيط الشكل وعملي إلى حد كبير يتم فيه إزاحة للمدخل الرئيسي عن مدخل المسكن وهذا وإن دل فإنما يدل على >> مدى أهمية هذا المجال بالنسبة لهذا المجتمع المحلي الذي يحظى بقيمة هامة شكلتها الرؤية الاجتماعية الثقافية وتحكم فيها إلى حد بعيد النظام العرفي السائد آنذاك.<<

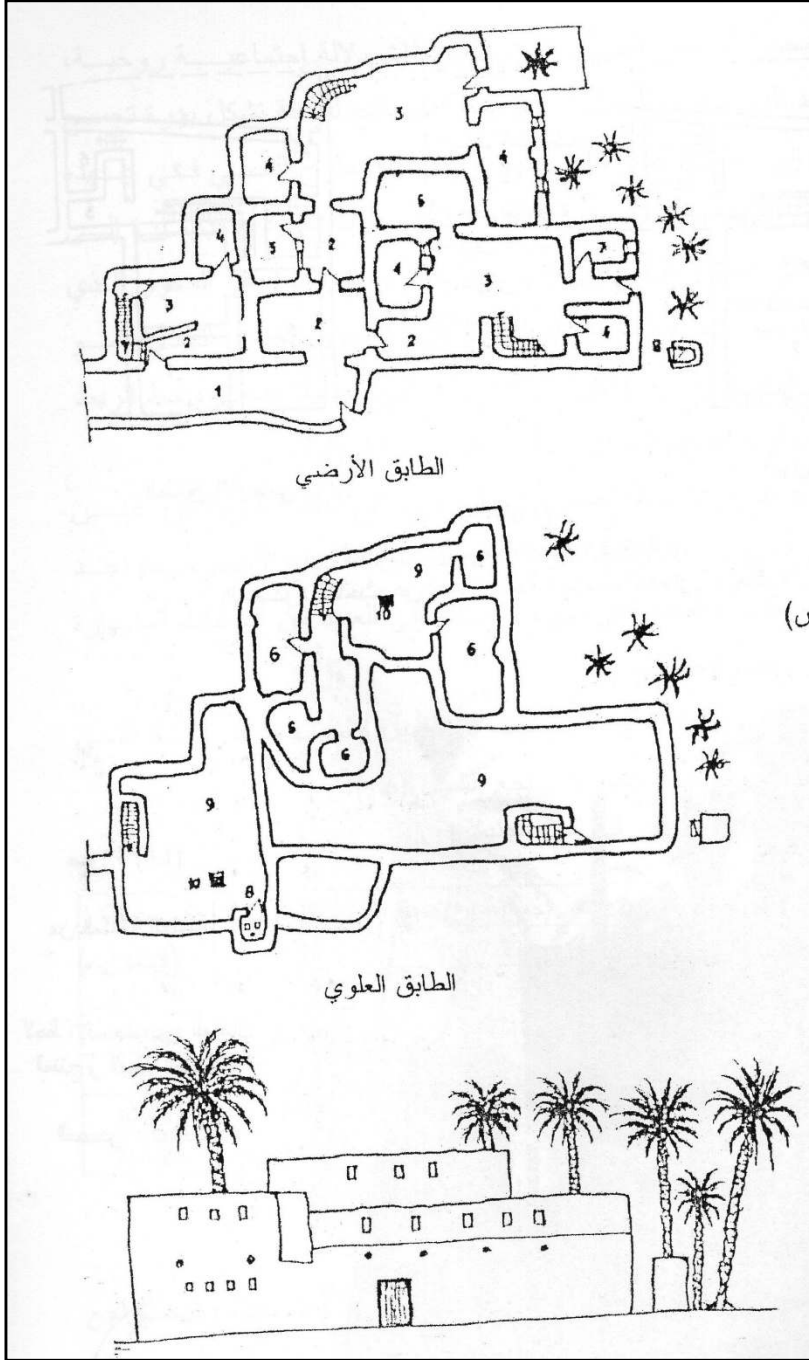
* السطح:

ويعد المتنفس الحقيقي للعائلة التقليدية عند ارتفاع درجات الحرارة، فهو المجال الأمثل للنوم ليلا والتجمع العائلي ناهيك عن الوظائف الأخرى كتربية الحيوانات أو تجفيف التمور. وفي حقيقة الأمر وإذا ما دققنا النظر فإن هذه المجالات المذكورة سابقا هي أهم العناصر المشكلة للمسكن التقليدي والتي لا يشاركها فيها المسكن الحديث بغض النظر عن المجالات الأخرى كبيت الضياف وغرف النوم التي قد يماثلها فيها المسكن المعاصر، كما أن التركيبة المعمارية نمت وتطورت حتى أثرت على التركيبة العمرانية العامة للبيئة التقليدية وهذا ما يؤكد قول (الديب، ب، 2001) >> إن هذه التشكيلة المعمارية للبيئة الداخلية كان لها الأثر الواضح على البيئة الخارجية شكلا ومضمونا.<<



الشكل (6-7): أنماط لخلايا سكنية بيسكرة القديمة.

المصدر: الديب، ب، 2001.



- 1- مدخل.
- 2- سقيفة.
- 3- وسط الدار.
- 4- بيت النوم.
- 5- بيت الضياف.
- 6- بيت الخزين.
- 7- مطبخ.
- 8- مرحاض.
- 9- سطح.
- 10- مطبخ.

الشكل (7-V): نمط لتجمع الخلايا السكنية بحي المسجد ببسكرة.
المصدر: الديب، ب، 2001.

ج - القيم الاجتماعية المحققة في البيئة الخارجية للمدينة العتيقة:

ونعني بها التركيبة العمرانية للنسيج العمراني أو مجموعة العناصر العمرانية للمدينة القديمة والتي رغم بساطة وسائلها وإمكاناتها إلا أنها تعد ذات مدلول اجتماعي وثقافي كبير واستطاعت أن تستوعب كل الأبعاد الإنسانية ضمن أنسجتها العمرانية، ويرجع ذلك إلى قيمة الانتماء المجالي العالية عند سكان هذه المنطقة، هذه العناصر وإن سبقت الإشارة إلى البعض منها ضمن الفصل الثاني المخصص للمدينة القديمة ككل إلا أنها هنا ضمن هذا الفصل مستقاة من البيئة العتيقة لمدينة بسكرة وسنوردها حسب ما أورده (الديب، ب، 2001) عند دراسته لأحد أحياء مدينة بسكرة القديمة:

*** الخصوصية:**

وهي جعل المستعمل للمسكن القديم في معزل عن أنظار وأسماع الآخرين وخاصة الغرباء منهم من خارج المسكن، وهذه التشكيلة المعمارية والعمرانية في الحقيقة هي انعكاس لقيم مجتمعية يقدها نظام اجتماعي منبثق أساسا عن المنظومة الإسلامية التي تشدد على خصوصية الحياة العائلية، فبسكرة وبحكم انتمائها الحضاري العربي المسلم فقد تبنت مجموعة من المجالات التي تحقق مبدأ الخصوصية سواء على الصعيد المعماري من خلال السقيفة مثلا أو على الصعيد العمراني من خلال الدروب والأزقة.

*** المقياس الإنساني:**

ويبدو هذا جليا في شكل الفتحات وأبعادها وتموضعها على مستوى الواجهة التي نجدها شبيه صماء أو مصممة بحيث نجد أن أغلب الفتحات تكون عالية وضيقة وهذا لأن المنازل تحقق مبدأ الانفتاح الداخلي ما جعل الواجهات تبدو في انسجام تام مع المقياس الإنساني من جهة ومع البيئة المحيطة من جهة أخرى من خلال مادة البناء المستعملة المتمثلة في الطين والنخيل اللذين يأخذان نفس لون البيئة المحلية.



الصورة (1-V): صورة لواجهة أحد المنازل بباب الدرب- بسكرة القديمة-

المصدر: مكتب الدراسات URBA/Batna

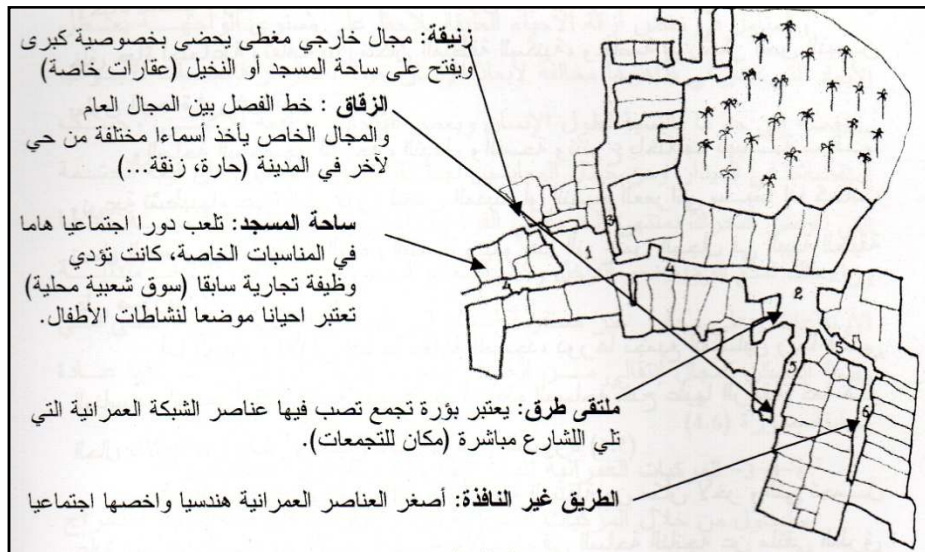
وقد يلجأ السكان في المدينة القديمة إلى استعمال أبواب مداخل ذات ارتفاعات أدنى من الطول الإنساني وهذا في حقيقة الأمر جاء مدروسا لكسر الشعاع البصري فلا يتمكن الناظر من إلقاء نظرة مباشرة داخل المسكن، إضافة إلى لجوءهم إلى تبني بعض المجالات الملتوية داخل المسكن من جهة المقدمة لسكر زاوية النظر ومن هذه المجالات السقيفة كما أسلفنا، فالملاحظ يرى أن السكان القدامى قاموا بكسر النظر على المستويين الأفقي من خلال المجالات الملتوية والرأسي من خلال انخفاض المداخل والأبواب.



الصورة (2-7): صورة لباب بمقياس إنساني في البيئة العتيقة.
المصدر: الباحث 2010.

د - المركبات العمرانية للمدينة القديمة:

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المركبات العمرانية تتجسد فيها كل المبادئ والقيم الاجتماعية المذكورة سابقا مما جعل هذه المركبات جزءا مكتملا للبيئة الداخلية ومنتما لها بتناسق وانسجام كبير بينهما حيث تشهد تكاملا مجاليا بين البيئة الداخلية والخارجية من خلال التدرج المجالي من العام إلى الخاص أو العكس مما يضمن التواصل الاجتماعي الذي تحتضنه المركبات المختلفة لأنسجة هذه البيئة القديمة.



الشكل (8-7): عناصر الشبكة العمرانية.

المصدر: الديب، ب، 2001.

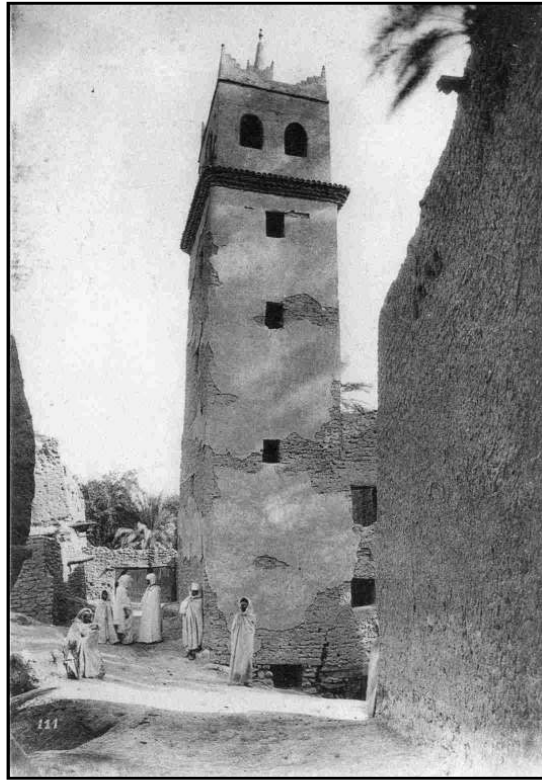
* الساحات:

وهي محل الراحة والتبادل والفسحة، ولها دور فعال في تهوية الطريق وتوسيعه وتنويع المناظر وكسر الملل عنه، والساحات تختلف باختلاف تهيئة مجالها وتعد متنفسا للمدينة وللنسيج العمراني، وتعتبر الساحة مركبا عمرانيا اجتماعيا واقتصاديا ومحلا للاتصال الاجتماعي التقليدي وتلبية الحاجات الأساسية للإنسان لما يتوفر عليه من كفاءة من شأنها الجمع بين شرائح السكان المختلفة، و تضيف (أسمهان صوفان، 1981) أن الأمان الذي توفره الساحات الصغيرة الموزعة بين الأحياء السكنية وخاصة إذا ما عولجت لتكون أشبه بمنزهات صغيرة لها الأثر في خلق حياة اجتماعية وثقافية بين سكان المنطقة السكنية وخاصة بين كبار السن الذين يملون الوحدة في غرفاتهم ...

وقد أشار (الديب، ب، 2001) أن هذا المرفق يكون في الأحياء القديمة لبسكرة على صورتين:

- الصورة الأولى:

عبارة عن فسحة تقع في مواجهة المسجد يجتمع فيها المصلون بعد الصلوات وتكون الزنيقات مفتوحة عليها.



الصورة (3-V): الساحة المقابلة لمسجد سيدي مالك - بسكرة القديمة -

المصدر: مكتب الدراسات URBA/Batna

- الصورة الثانية:

وهي الساحات التي تقام بها الأسواق الشعبية المتنقلة من مكان لآخر، وقد تحمل هذه الأسواق أسماء بعض الأيام كسوق الأربعاء في الساحة الناتجة عن ملتقى الطرق المتفرعة عن شارع الحكيم سعدان بمحاذاة باب الدرب والمسيد. (انظر الصورة - 04 -)



الصورة (4-V): ساحة سوق التمر - بسكرة القديمة -

المصدر: مكتب الدراسات URBA/Batna

* الطريق:

ويتجلى دور الطريق في السماح بالحركة والربط بين العناصر العمرانية والمعمارية المشكّلة للمحيط العمراني، وتعد الطريق أيضا المجال الذي تنفتح عليه الواجهات وهي الأكثر مقارنة بالساحات.

>> ولقد اتخذت الطريق أشكالا عديدة وصورا مختلفة عبر التاريخ وفي ثقافات الأمم ورؤيتها للحياة فحققت وظيفة الحركة والتنقل وضمنت حركة الراجلين الخالصة واستجابت للمضمون الاجتماعي ولبت طلب الإنسان النفسي والبيولوجي والفيزيائي عبر أبعادها وديكورها المعماري وما احتوته من عناصر طبيعية. <<

والطرق في المدينة القديمة ببسكرة تتكامل مع العناصر الأخرى لتشكل معا الشبكة العمرانية التي يتحرك من خلالها الإنسان، وعلى العموم فالطريق في بسكرة القديمة تأخذ الصور التالية:

*- 1- الطريق النافذة: وتنقسم إلى:

- الشارع أو الزقاق: (La Rue)

ويعد هذا العنصر العمراني ذو أبعاد كبيرة نسبيا مقارنة بغيره من الطرق حيث تتركز على جانبيه مختلف الوظائف العمومية وخاصة التجارية منها، كما يعد حلقة الربط الأساسية بين الأحياء المتجاورة، والشارع ضمن المدينة القديمة يحظى بميزة تتمثل في تجمع الناس في المساء عقب الانتهاء من العمل لقضاء الأمسيات وخصوصا في الفصول الحارة. ومما يلاحظ في الشوارع بالمدن القديمة في بسكرة بشكل خاص هو نسبتها إلى بعض الأشخاص مثل زقاق بن رمضان ذي الشهرة الكبيرة ببسكرة كونه يضم سوقا يقصدها العام والخاص.



الصورة (5-V): زقاق أولاد نايل - بسكرة القديمة -
المصدر: مكتب الدراسات URBA/Batna

- الزنيقة: (La Ruelle)

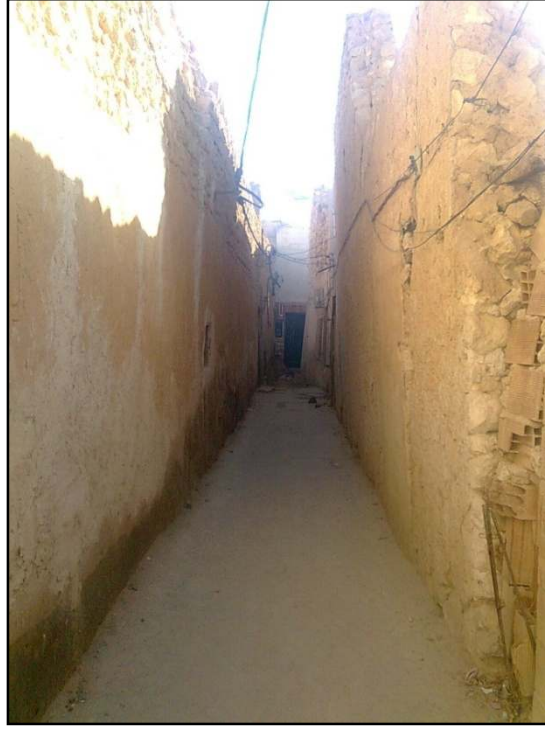
وتتميز بأبعاد أقل من أبعاد الشوارع، كما أنها تأخذ الشكل الملتوي وهي أشبه ما تكون بالطريق الغير نافذة، ويكمن دورها في الربط بين الشوارع والساحات بالطرق المغلقة أو الساباطات.



الصورة (6-V): الزنيقة بالبيئة العتيقة - تقرت -
المصدر: الباحث، 2011.

*** -2- الطريق الغير نافذة: (Impasse)**

ويعد أصغر الوحدات والمكونات العمرانية ويقتصر استعماله على أصحاب المساكن المحيطة به إذ يعد مجالا خاصا بهم، ويتميز بسكونه وصغر عرضه إذ لا يتجاوز عرضه المترين (02م).



الصورة (7-V): الطريق الغير نافذة بالبيئة العتيقة - تقرت-
المصدر: الباحث، 2011.

*** -3- الحارة:**

وهي المجال المغطى الذي يفصل بين المجالين العام والخاص، وتكون الحارة مفتوحة على الزنيقة ذات الشكل الملتوي والأبعاد الصغيرة، وتلعب الحارات دورا هاما في التواصل الاجتماعي من خلال جمعها لشرائح عديدة من السكان وخاصة الأطفال منهم أين يجدون ضالتهم من أجل اللعب، وللتفاعل الاجتماعي الكبير الذي يتم على مستوى هذه المجالات فقد وصفها (جميل عبد القادر، أ، 1995) << بأن هذه الساباطات غرفة لسكان الحي.>>
<< وما يلاحظ على هذا المجال بأنه هو الآخر يحقق مبدأ الخصوصية كونه مستعمل من قبل سكان البيوت التي تنفتح عليه، كما يساهم في إحداث التواصل الاجتماعي سيما بين النساء وهذا ما يلاحظ في حي مسيد مثلا.>> (الديب، ب، 2001).



الصورة (8-V): الحارات بالبيئة العتيقة - تقرت-
المصدر: الباحث، 2011.



الصورة (9-V): الحارات بالبيئة العتيقة - تقرت-
المصدر: الباحث، 2011.

وما يلاحظ كحوصلة لهذه المجالات والمركبات العمرانية هو تركيزها الشديد والبالغ على مبدأ الخصوصية والحرمة التي تزيد كلما توغلنا داخل النسيج العمراني، وهي كما وصفها (الديب، ب، 2001) نظام يشبه مصفاة متعددة الشبكات تضيق دوائرها كلما اتجهنا من مركز الحي إلى قلبه وتستجيب للمضمون الاجتماعي للمجال حسب التالي:

- الدائرة الأولى:

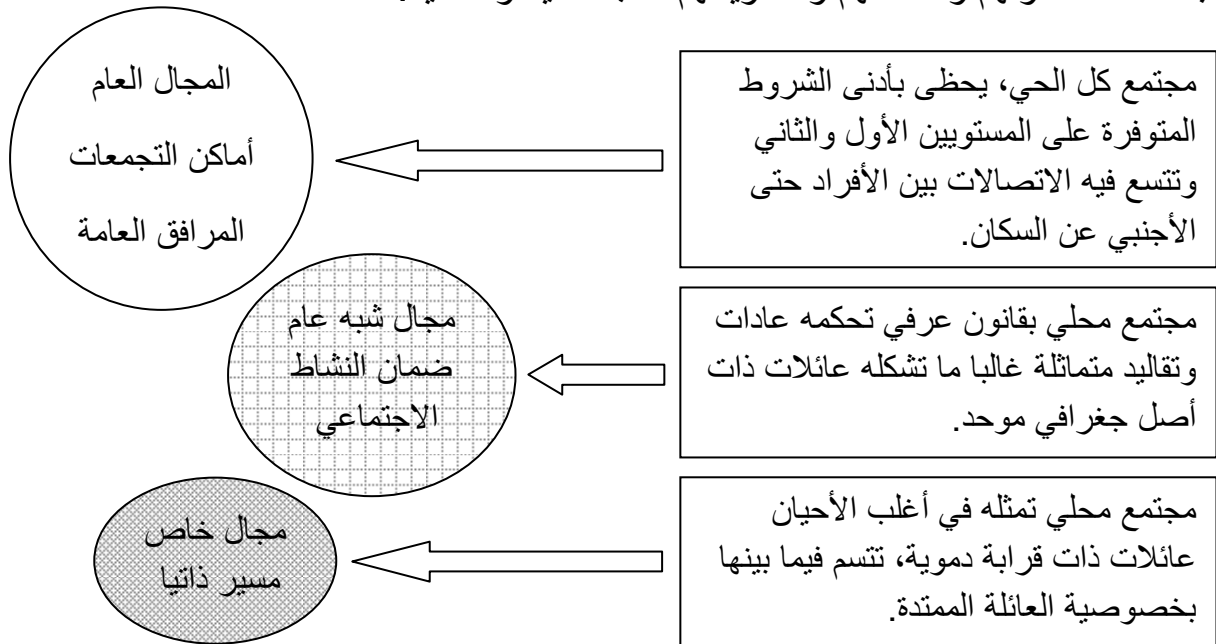
وتغطيها الزنيقة وتحظى بخصوصية هامة وتجمع عادة أفرادا ذوي علاقة عائلية قوية (قراية دموية في أغلب الأحيان) وتتسع عندها قيمة الحشمة التي تسع كل أفرادها ويبدو ذلك جليا وراء الإحساس الذي ينتاب أي شخص أجنبي عند دخوله هذا المجال دون اصطحاب أحد الأفراد القاطنين به.

- الدائرة الثانية:

وموضعها الطريق غير النافذة، ويتسع فيها إلى حد نطاق المجال العام بالنسبة للخاص نظرا لانفتاح هذه الطريق على المجال العام الذي تمثله الساحة أو الزقاق، وتتنوع العائلات التي ترتبط فيما بينها غالبا بأصل جغرافي موحد تضبطها قوانين عرفية يحتمل إليها الكل كاحترام المرأة وتحمل مسؤولية الأولاد والاهتمام بنظافة المجال الخارجي وتوجيه الأجنبي، وهنا يتقلص نفوذ قيمة الحشمة إلى حد أضيق مما كان عليه في الدائرة الأولى.

- الدائرة الثالثة:

يمثلها الشارع أو الساحة، وفيه تضحل هذه القيمة وتراجع إلى أدنى حدودها حيث تصبح العلاقات والمعاملات سارية بين أفراد كل الحي ومختلف شرائحه وحتى غير الساكنين به باختلاف أصولهم وعائلاتهم ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية.



الشكل (9-7): المجال الخارجي وقيمة الحشمة في البيئة العتيقة.

المصدر: الديب، ب، 2001.

(2)- مرحلة الاحتلال الفرنسي:

وبدأت هذه المرحلة مع دخول الفرنسيين إلى المنطقة سنة 1844م واستقرارهم في القلعة التركية الشمالية خارج الواحة، وهي عادة المستعمر دائما الاستقرار خارج المدينة القديمة بغية السيطرة والمراقبة التامة للسكان وتتجلى في مدينة بسكرة في محاولة المستعمر السيطرة على منابع المياه المخصصة لسقي واحات النخيل، كما يهدف إلى التحصن داخل أسوار القلعة العسكرية، ثم بدأت عمليات التوسع والاستيطان الفرنسية من خلال زرع مستوطنة فرنسية على تخوم القلعة وفق مخطط شطرنجي بشوارع متعامدة ومتجانسة بمحلات سكنية موحدة في غالبيتها من ناحية الحجم والشكل والمساحة مع مراعاة الاستغلال العقلاني للأرض وسرعة الإنجاز. ومن هنا أصبحت المدينة تعرف نمطا جديدا من التخطيط بتقنيات حديثة ومعطيات صحية وعمرانية من أجل ضمان الحياة المثلى للمعمر الفرنسي، هذا النمط أصبح يزاحم النمط القديم المتمثل في المجمعات السبعة المتواجدة ضمن واحات النخيل ذات التخطيط النابع من شكل السواقي وبمواد البناء المحلية وتقنيات بسيطة لا ترمز إلا لمجتمع تكيف بوسائله البسيطة مع معطيات محيطه المناخية والطبيعية.

وقد صاحب هذا الانقسام العمراني انقسام اجتماعي بظهور طبقتين من الناس في هذه المدينة الأولى منها محلية أصلية والثانية دخيلة أجنبية، وقد امتاز كل نسيج عمراني بنوعية من الخدمات ذات طبيعة خاصة يوفرها لسكانيه.

وقد قام الدكتور (الديب، ب، 2001) بتعداد المراحل التي نمت فيها المدينة وتطورت كما يلي:

(2)-1- توسع القلعة العسكرية:

و هي المرحلة التي بدأ فيها تشكيل أول نواة استعمارية للمدينة إذ أقيمت أول مستعمرة بالشمال قرب الحصن التركي خارج غابات النخيل من أجل التحكم في كل القرى عرفت خلالها المدينة تطورات وظيفية أعطت نهضة عمرانية، أما التمرکز الاستعماري فقد وضع بشكل شطرنجي لظروف أمنية، كما تميزت هذه الفترة بـ:

- أول ما بني بالمدينة الجديدة هو برج " سان جرمان " عام 1850م حيث استعمل كمعسكر للجيش (ثكنة)، كما أقيمت أبواب الحراسة الأربعة في الأماكن التالية:

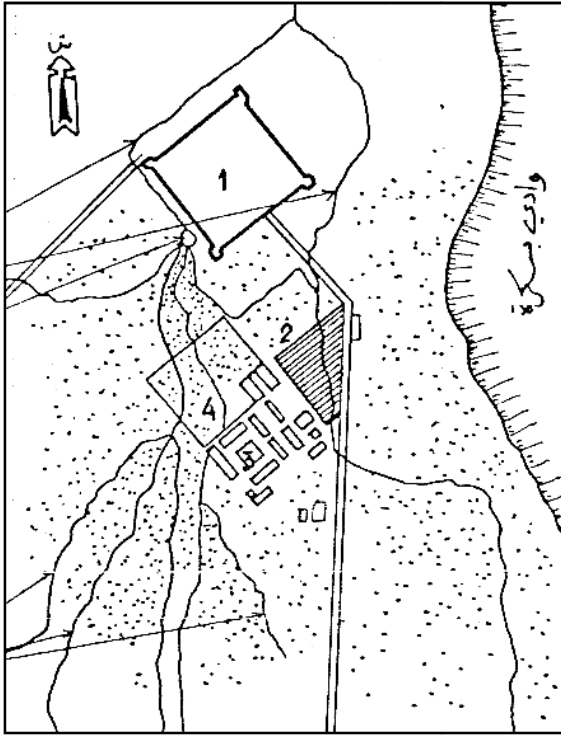
- مدرسة بن مالك لحسن (الطيانة سابقا)

- جبل الضلعة

- خزان الماء قرب مقبرة النصارى

- خزان الماء بحي العالية

و توالى البناءات، ففي سنة 1856، تم إنجاز أول مدرسة بالمدينة بالمقر الحالي لمدرسة عبد الله دبابش (قرب مقبرة لعزيلات). انظر الشكل (10). (مديرية البناء والتعمير، 2008).



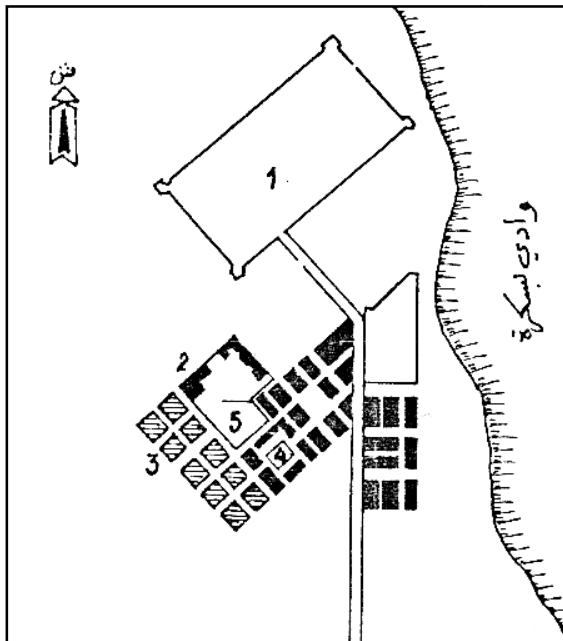
- (1): قلعة سان جرمان.
- (2): قرية رأس الماء.
- (3): ساحة السوق.
- (4): ساحة المسجد.

الشكل (10-V): بداية الاستيطان الفرنسي.

المصدر: الديب، ب، 2001.

2-2- ظهور المنشآت الأولى:

وبدأ الاستيطان الفرنسي بالظهور بعد العقدين الأولين من وصوله إلى المنطقة حيث لاحت بواعت هذا الاستيطان بظهور المنشآت الأولى جنوب ساحة السوق على طول خطين ينتهيان عند حدود النادي العسكري الموجود عند ساحة المسجد، وتتمثل هذه المنشآت في محلات مربعة الشكل وموحدة الأبعاد (40م×40م) تشكل فيما بينها شوارع متقاطعة وشطرنجية، ويلاحظ في ذلك عدم معالجة المنطقة المحصورة بين المحور المؤدي لواحات النخيل والمحور المحدد للمستوطنة الجديدة حيث تظهر غير متناسقة في شكلها الهندسي مع كل النسيج.



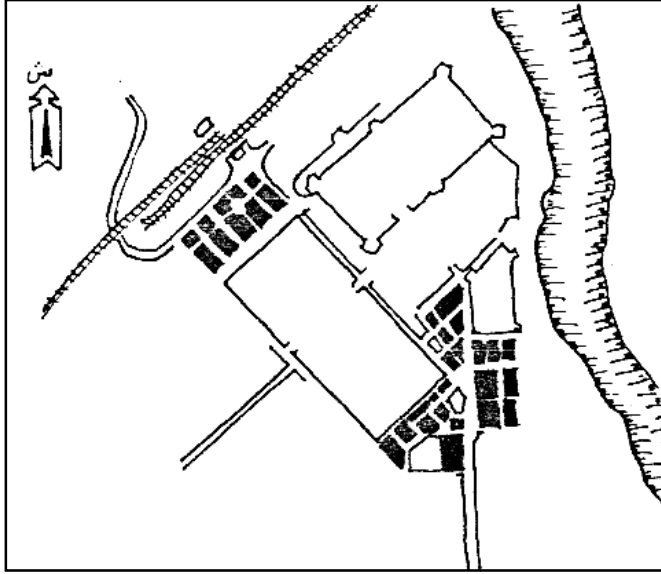
- (1): قلعة سان جرمان بعد توسيعها.
- (2): النادي العسكري.
- (3): المنشآت المدنية الأولى.
- (4): ساحة السوق.
- (5): ساحة المسجد.

الشكل (11-V): توسع القلعة وظهور المنشآت المدنية.

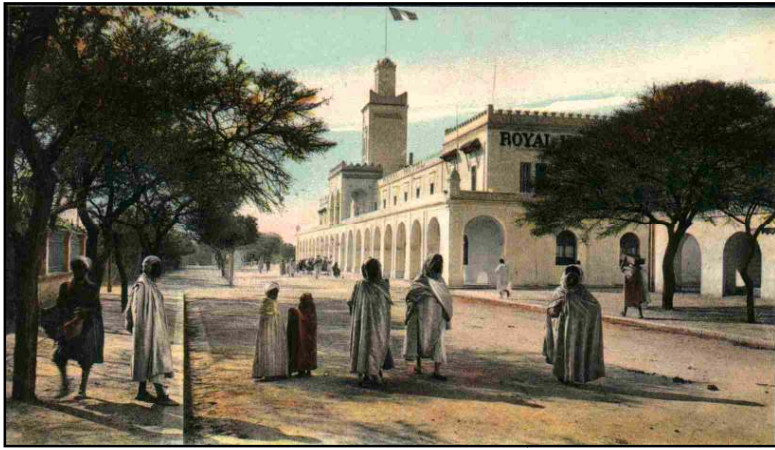
المصدر: الديب، ب، 2001.

(2-3) التوسع الأول:

وكان هذا التوسع إلى الجهة الشمالية وبنفس الوضعية الهندسية للنسيج الجنوبي الأول في خطوة تكميلية للنسيج العمراني الذي انتهت حدوده مع حدود القلعة حيث تشكلت المحاور الرئيسية النهائية للمستوطنة الفرنسية بعد إنشاء حديقة عامة تتوسط القلعة والمنشآت المدنية ليبيرز الشارع الحيوي المؤسساتي للنسيج ككل المدعم بالواجهات ذوات الأقواس والشرفات والمؤسسات السياحية والتجارية، ومن الجهة المقابلة توجد الحديقة العامة.



الشكل (12-V): التوسع الأول للمدينة الفرنسية. التوسع نحو الشمال بتحويل طفيف في مساحات المحلات السكنية وظهور الحديقة العامة التي تحدد الملامح النهائية للشارع المؤسساتي. المصدر: الديب، ب، 2001.



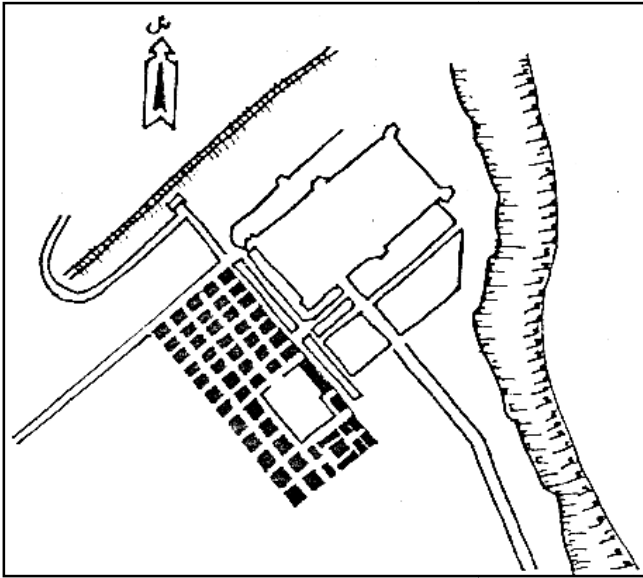
الصورة (10-V): النزل الملكي بالشارع المؤسساتي سنة 1929م. المصدر: مديرية مسح الأراضي.



الصورة (11-V): نزل الصحراء بالشارع المؤسساتي سنة 1929م. المصدر: مديرية مسح الأراضي.

2-4- التوسع الثاني:

وكان هذا التوسع نحو شمال المدينة بنفس التخطيط الهندسي السابق ويطلق عليه اسم التوسع الريفى حيث تضاعف بُعد الشارع الفاصل بين الجزأين وحفظ على الوحدة السكنية من ناحية المساحة لكنها كانت ذات طابق وحيد أرضي وبأسقف مائلة، كما أن هذا النسيج الجديد كان خاليا من المؤسسات التجارية والمرافق العامة إلا من حديقة أنشأت وسطه، كما تم في هذا التوسع إعادة هيكلة قرية رأس الماء وتم إدماجها في الشبكة الحضرية عن طريق شق بعض الشوارع وربطها بالمحور الرئيسي ذي الاتجاه شمال-جنوب، واستحدثت محلات جديدة مخالفة لتلك الأولى، كما تم أيضا القضاء على بعض المجالات بواسطة زرع حدائق وممرات عمومية مكانها.



الشكل (13-V): التوسع الثاني للمدينة الفرنسية. امتداد نحو السكة الحديدية بنفس الخطة وامتصاص الأجزاء الأخرى المتواجدة إلى الشمال الشرقي بتحويل أشكال المحلات وإعادة هيكلة قرية رأس الماء مع إدماج بعض الحدائق والمساحات الحرة. المصدر: الديب، ب، 2001.



الصورة (12-V): ظهور المباني ذات السقف المائل. المصدر: الباحث، 2011.

(2)-5- مخطط درفو (Dervaux) 1924م:

وهو مشروع من هذا المعماري (Adolph Dervaux) يهدف بموجبه إلى تحويل بسكرة إلى جنة سياحية وهذا اعتمادا على ثرواتها المناخية والمعدنية والطبيعية، ومحاولة تنظيم الحركة والتنقل والصحة وتحقيق الجانب الجمالي وذلك عن طريق تركيبة هندسية حول محطة معدنية منتظمة حول بعض نقاط النسيج الفرنسي وبمعنى آخر إيجاد مخطط وظيفي للواحة من ناحية الإنتاج والسكن والمؤسسات المعدنية والسياحية لمراقبة أحسن لما تدر به المساحات الشاسعة من النخيل، وأخيرا التفاتة لتحسين السكن الاندماجي والتخلي عن الإستراتيجية العسكرية التي تركز أكثر ما يكون على نمو المستوطنة الفرنسية بمعزل عن الواحة وعلى حساب كل المدينة، وقد اعتمد هذا المعماري على القانون الصادر في 14/03/1919م والقانون الموالي له في 24/07/1924م المتضمن لقوانين التعمير فهو إذا مخطط يمثل نسيجا عمرانيا متجانسا أخذ بنظرية الدوائر المركزية:

- الدائرة الأولى تشكل السوق والنواة المركزية.
- الدائرة الثانية هي المنطقة المباشرة لهذا الأخير.
- الدائرة الثالثة تضم حي الزمالة و سطر الملوك.

أما الدائرتان الرابعة والخامسة فهما تخصان المنطقة الشمالية من المدينة آنذاك وهو ما يعرف بحي (La Gare) والجهة الكائنة غرب شارع (BVD Carnot) الأمير عبد القادر حاليا والمسمى بحي الروداري، وفي الجنوب أين توجد أرض السيدة لوران وهو حي شاطوني حاليا، كما خصص للتعمير أيضا أراضي الضفة الغربية للوادي.



الصورة (V-13): دار الثقافة ببسكرة.

المصدر: الباحث، 2011.



الصورة (V-14): سينما الأطلس ببسكرة.

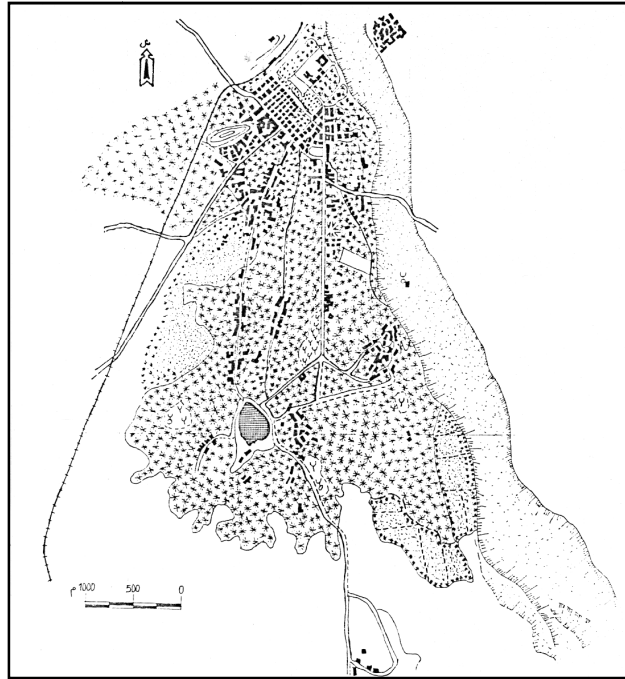
المصدر: الباحث، 2011.



الصورة (V-15): المتحف البلدي ببسكرة.
المصدر: الباحث، 2011.

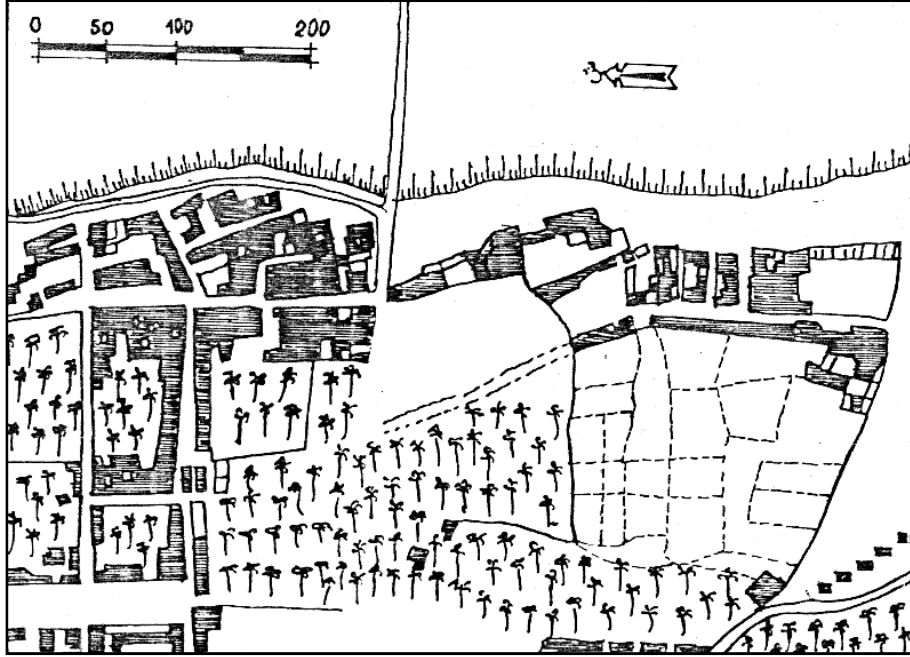
(2-6- المدينة في الخمسينات 1950م/1960م):

وقد توسعت المدينة ونمت في هذه الفترة معتمدة على المحاور الرئيسية المهيكلة للمستوطنة الفرنسية وبعض مداخلها وكذلك الخطوط التي شكلتها الاتجاهات الطبيعية للمجاري المائية حيث كانت هذه العناصر الأساس في تنامي الحركة التجارية والبور الفاعلة في المدينة كلها. كما أن المدينة وحسب مخططها في أواخر هذه العشرية وتحديدًا سنة 1958م يشير إلى أن المجال المبني امتد نحو الجنوب على الضفة الغربية للوادي وعلى جانبي محور الزعاطشة والحكيم سعدان وصالح باي من جهة، كما أن توسع المدينة امتد إلى الاتجاه الجنوبي الغربي بمحاذاة الجهة الاصطناعية المتمثلة في خط السكة الحديدية، في حين تمتد الأحياء العتيقة نحو الشمال على طول السواقي، ويبرز قطب آخر إلى الشمال الشرقي على حافة الوادي وحي العالية.



الشكل (V-14): مدينة بسكرة سنة 1958م.
ظهور القطب الجديد في الجهة الشرقية واجتياح المجال الأخضر (النخيل) إلى الجهة الجنوبية.
المصدر: الديب، ب، 2001.

واعتبر الدكتور الديب هذه التوسعات > أساسا لأشكال عمرانية لا تخضع لمنطق ولا نظام هندسي سوى اكتساح مساحات من الأراضي وتحطيم مساحات من النخيل على عقارات خاصة رغم أنها تحمل بعض المميزات المحلية التي نراها مجرد استجابة لحاجة المواطن الماسة وقدراته الزهيدة في إبراز نمط محلي للمعيشة يتطور حسب الزمان ويقوم على قدرات كامنة تبرز كلما توسع الفرد في مسكنه أو على مستوى حيه.<<



الشكل (15-V): حي حارة الوادي سنة 1958م.
التوسعات العشوائية في العقارات الخاصة على حساب النخيل.

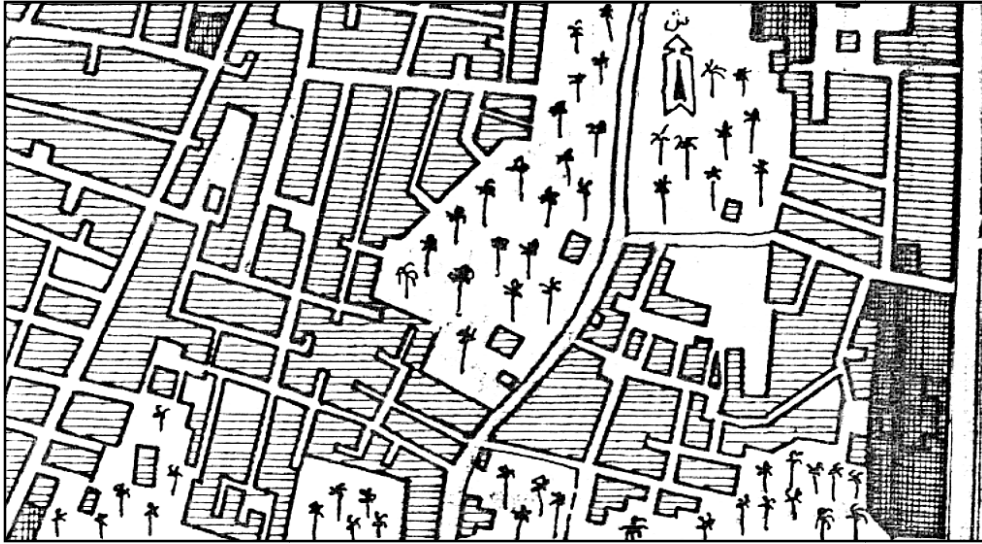
المصدر: الديب، ب، 2001.

(3)- مرحلة ما بعد الاستقلال:

شهدت المدينة في هذه الفترة ركودا كليا في الحركة العمرانية والبرامج التنموية المسطرة من قبل السلطات المعنية محليا أو على الصعيد الوطني، لكن على الصعيد الذاتي فكانت الحركة العمرانية نشيطة على مستوى المواطنين المحليين الذين قاموا بمغادرة مساكنهم القديمة المتواجدة داخل واحات النخيل وتعمير مساكن الفرنسيين الذين غادروها عقب الاستقلال، كما تجدر الإشارة أن المساكن الخاصة بالمعمرين لم تعمر من طرف السكان المحليين فقط بل حتى من طرف أولئك الوافدين من الضواحي، وفي هذا الوقت وللسبب الأخير سجلت بسكرة واحدا من أعلى نسب النزوح في الجزائر ككل.

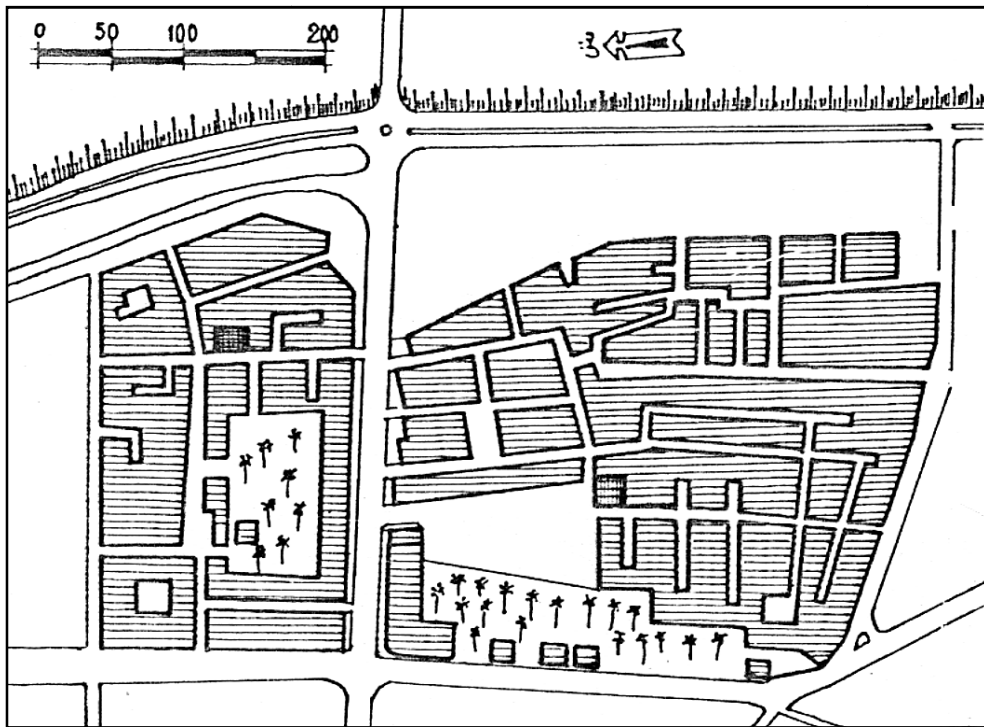
وقد ارتفعت نسبة النشاط الإنشائي على العقارات الخاصة والأراضي العمومية أو الخاضعة للمضاربات العقارية مما أدى إلى تكثف وانتشار البناء الغير مراقب عبر كامل تراب المدينة، وما زاد من حدة أزمة السكن إضافة إلى ارتفاع نسبة النازحين هو انهيار المساكن المحاذية للوادي جراء الأمطار الطوفانية التي تسببت في إحداث الفيضان سنة 1969م، حيث انهارت المساكن المبنية بالمواد المحلية المتواجدة في الضفة الغربية لواد بسكرة وخاصة منها في حي المسيد

المتواجد جنوب المدينة، فقد كان لهذه الأزمة الأثر البالغ على هياكل المدينة الرسمية وانتشار البناء العشوائي الذي كان العنصر الطبيعي المتمثل في واحات النخيل مسرحاً له في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة وامتد ليصل إلى خط السكة الحديدية في الجهة الغربية.



الشكل (16-V): حي ستار الملوك.

المصدر: الديب، ب، 2001.



الشكل (17-V): حي حارة الوادي.

توسعات المجال المبني في الفترة 1958م/1984م عشوائياً.

المصدر: الديب، ب، 2001.

ومن نتائج هذه المرحلة تخلي السكان في المنطقة وفي بسكرة تحديداً على المساكن المنجزة بالمواد المحلية كالطين والجريد والتي رغم ضعفها عن مقاومة تقلبات الزمان إلا أنها استمرت لفترة زمنية طويلة فأصبحت في نهاية المطاف تشكل علامة للفقر والتخلف، وأصبحت هذه المواد المحلية تشهد مزاحمة من طرف مواد أخرى صناعية ذات استعمال واسع في شمال البلاد تعتمد أساساً على مادة الخرسانة، وسبب انتشارها هو جعلها كسلعة للبيع من طرف الدولة وبأثمان بخسة في تلك الأوقات، هذا كله جعل البناء التلقائي يأخذ في الانتشار والاتساع في المدينة على حساب ثروة النخيل كما أسلفنا بل حتى على حساب الأراضي المجاورة مثلما هو الحال في العالية وسيدي غزال وامتد ليصل إلى المناطق الغير مؤهلة عمرانياً أدى هذا إلى بروز أشكال عمرانية جديدة لا تخضع لأي قواعد عمرانية أو تقنيات للبناء حتى باتت هذه السكنات تشكل ظاهرة مرضية في مدينة بسكرة وخاصة بغياب المرافق والبنية التحتية.

وفي الحقيقة أن غالبية المدن الجزائرية كانت تعاني من هذه الظاهرة المرضية العمرانية، لكنها في مدينة بسكرة أنت هذه الظاهرة على حساب ثروة النخيل التي عرفت حالة من الاندثار التدريجي بسبب الانتشار الواسع للمساكن العشوائية التي تمثل في نظرة ساكنيها علامة للتقدم والرفق ولكنها في الحقيقة لا تخضع لأي من القواعد العمرانية والجمالية هذا من جهة، ومن جهة أخرى بسبب تدخلات السلطات التي لا تولي أي احترام لقيمة هذا الموقع. وعلى العموم فإن تطور مدينة بسكرة عبر الزمن كان وفق شكلين أساسيين هما:

- الشكل الأول (النمو الحلقي):

والذي يميز المراحل الأولى من التطور البدء من النواة المركزية (وسط المدينة) ثم انتشر في كل الجهات بشكل حلقات حول النواة وذلك لسهولة التعمير وتوفير الأراضي ذات الملكية الخاصة وانخفاض أسعارها على الضواحي مقارنة بالمركز في ظل معدلات النمو الديموغرافي المتزايد والسريع.

- الشكل الثاني (النمو الخطي):

والذي كان نتيجة الاستهلاك السريع للأراضي السهلة التعمير واصطدام تطورها المجالي بعوامل منها ما هو طبيعي (تضاريس) واصطناعي (المنطقة الصناعية والعسكرية) موجهها بذلك نموها على طول محاور الطرق ذات الحركة الكثيفة. (مديرية التعمير والبناء. بسكرة).

ولقد أشار (الديب، ب، 2001) أن التعمير الذي عرفته المدينة منذ ذلك الحين هو على ثلاثة صور أساسية هي:

(3-1- التعمير غير القانوني (Urbanisation illégale):

يمكننا أن نسجله كنمط عمراني فرض وجوده على مسرح المدينة مستجيباً لأربعة معايير هي: * المعيار التاريخي:

أنتج في إطار غير متكامل وفي غياب أي نشاط عمراني رسمي إبان مرحلة الاحتلال وبعدها مباشرة، ونما خلال الفترة بين الستينات والثمانينات ولا يزال يظهر هنا وهناك وفي ظروف ضربت فيها أزمة السكن حدثها وتكثفت فيها الهجرات نحو المدينة.

*** المعيار الاجتماعي الاقتصادي:**

يعتبر نتاجا لشريحة من السكان ذوي مداخيل زهيدة ومستوى اجتماعي وأصل جغرافي موحد في غالبيته (عمال وتجار صغار وحرفيون).

*** المعيار القانوني:**

يستجيب لظروف قانونية حقيقية تتمثل في الملكية الخاصة للعقار التي تدفع المالك لإنفاق كل ما يملكه من قدرات مادية ومداخيل لتحقيق هدف يعتبره مستقبل عائلته، أو المتعلقة بمورد اقتصادي هام (النخيل) للمحافظة على ترابط العائلة بالتوسع الأفقي داخل الملكية.

*** المعيار الثقافي:**

يتمثل في استجابته للمضامين الثقافية العمرانية التقليدية بعادات محلية وإدماج عناصر للحياة العصرية أو مطبوعة بالنمط الغربي أو الاقتصار على العناصر البدائية عند الضرورة ريثما يستتب المستوى الاقتصادي الاجتماعي للفرد أو العائلة.

وأما عن الخصائص العمرانية والمعمارية لهذه الصورة من التعمير فإن مبانيه تنمو تبعا لتجزئة بسيطة من الأرض على طول المحاور الكبرى وخاصة منها محور الزعاطشة والأمير عبد القادر المتجهان نحو الجهة الجنوبية والشرقية من المدينة بوحدات أساسية بسيطة تحوي أفنية داخلية، ثم تتكثف اعتبارا من هذه الأفنية لتستمر في التوسع رأسيا بعد ذلك، وفي غياب المرافق العامة تنشط الحركة التجارية التقليدية على مستوى الشوارع الصغيرة التي تشكلها المحلات السكنية التي تبنى وتتوسع بمراحل تخضع للظروف الاجتماعية والاقتصادية للسكان ووفرة مواد البناء.

ويبدو أن نمطا عمرانيا محليا يمكن اعتباره حاملا لملامح نمط محلي يظهر على طول شارع الزعاطشة يتمثل في إدراج المجال المغطى في أشكال متعددة يغلب عليها القوس كمجال معماري يتقدم المحلات التجارية ثم يتبعه الرصيف وبأشكال مختلفة على جانبي الشارع، ثم تأتي الوظائف السكنية في الطوابق العليا التي لا يتعدى ارتفاعها الطابق الثالث غالبا حيث تفتح على الخارج بواسطة شرفات وواجهات مطبوعة بطابع أوربي (فتحات واسعة إلى حد ما) وتطل على الشوارع الخفية.

إن الطابع الفردي للبناء في هذا الحي يكاد يذوب في وسط عمراني وحركة مزدحمة داخل الأروقة المحمية من حر الشمس طوال النهار، ويصل عرض الشارع إلى حوالي 30 مترا ويخلو تقريبا من العناصر الطبيعية التي يمكن أن تساهم في امتصاص هذا البعد الممتد بين الجانبين والذي تطبعه مادة صامته صلبة أفقيا ورأسيا.

وتتوسع الأحياء الأخرى انطلاقا من نواة أولى أو تبعا لبعض مجاري المياه لتكتسح أراض جرداء كما كان الحال في العالية، أو تأتي على النخيل والغطاء النباتي تحت ستار العقار الخاص بالنسبة للأنسجة العمرانية الموجودة داخل الواحة ثم تتكثف في مرحلة لاحقة نحو الداخل لتشكل كتلة متراسة قابلة للتوسع مستقبلا.

وتبدو هذه الأحياء خليطاً ومزيجاً بين شكلين متفاوتين أحدهما منجز بمواد محلية تقليدية كالطوب النقي وجريد النخيل وجذوعها وآخر منجز بمواد حديثة أساسها الحديد والخرسانة كمواد ذات مقاومة عالية، لكن ما يميز هذه الأحياء هو محافظتها على قيمة المجال الداخلي ذي الطابع الاجتماعي بواسطة الواجهات الشبه صماء والأزقة والدروب التي تعطي نوعاً من الخصوصية للمجال الخارجي وتحقق مبدأ التملك من قبل أهل الحي الواحد، ويلاحظ هذا الأمر جلياً في الأنسجة التي شيدت إبان فترة الاحتلال وتلك التي شيدت عقب الاستقلال مباشرة.

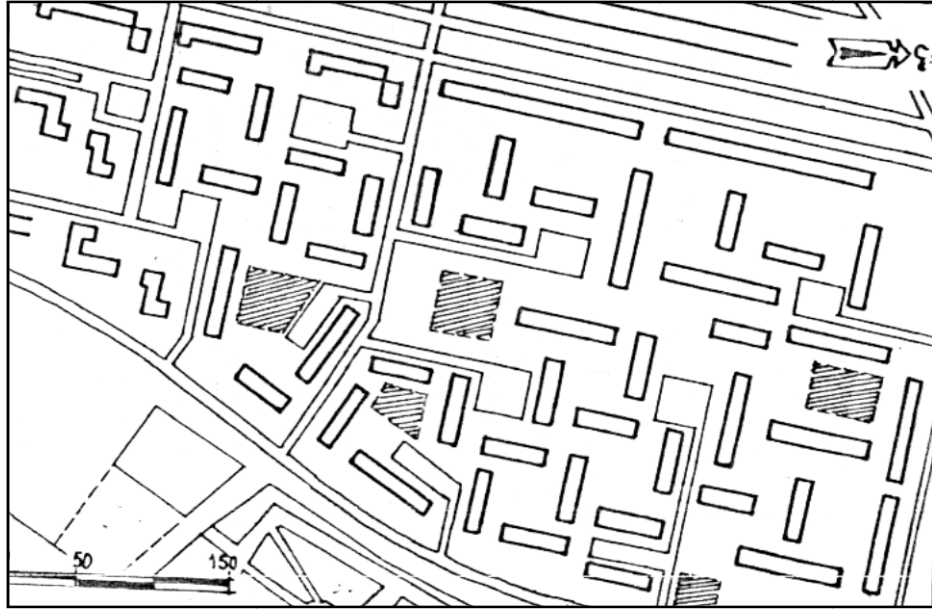
(3-2- المنطقة الحديثة للسكن (Z.H.U.N):

استفادت مدينة بسكرة في نهاية فترة السبعينات وفي إطار الاستجابة لمطلب اجتماعي لحل أزمة السكن من برنامج هائل للسكن يتمثل في منطقتين حديثتين:

- * إحداهما غرب المدينة تمتد على مساحة تقدر بـ 99,40 هكتارا طاقتها 8500 مسكن.
- * والأخرى تقع شرق المدينة تمتد على مساحة تقدر بـ 250 هكتارا طاقة استيعابها 11000 مسكن.

وتتمثل هذه المناطق في أحياء تتشكل من وحدات سكنية بسيطة الأشكال ومتعددة الطوابق تظهر بعناصر معمارية وواجهات تماثل الأحياء السكنية المتواجدة بالمدن الشمالية باستثناء بعض المعالجات البسيطة كاستعمال بعض الأقواس والمشربيات في بعض الواجهات، وكذا الواجهات المعروضة على شوارع مهمة في المدينة تحظى بمعالجة لا تتعدى إيجاد أروقة على طول الممرات بإدخال أشكال مختلفة للأقواس (كما هو الحال في بعض الطرق التي تطل عليها بعض الواجهات في الأحياء: 627 مسكن، 1000 مسكن، 500 مسكن، ...)، أما المجالات الخارجية فمهجورة طوال النهار رغم احتوائها على وظائف عديدة مثل مواقف السيارات وأماكن للعب الأطفال، وتكتسي نفس الطابع والموقع بين عمارتين أو أكثر في جل الأحياء، وتظهر مرافق عمومية في بعضها كالإدارات وبعض المؤسسات الهامة ورغم أهميتها تبقى معزولة عن كل الحي.

وتبدو هذه المناطق الحديثة في أشكال عمرانية لا تمت بصلة إلى الأشكال العمرانية الأخرى في المدينة كلها حيث تشكل طفرة أخرى إضافة إلى تلك التي شكلتها المدينة الفرنسية من قبل فضلا عن الصورة التي تبديها الأحياء الغير مراقبة والتجزئات الموجودة بجانب هذه المناطق الحديثة التي أضحت اليوم مجرد أحياء للنوم فقط بعزلتها الملحوظة طوال النهار خاصة أوقات العمل رغم أنها بُرمت في إطار توسع المدينة لتشكل وحدة متكاملة وتخفف من حدة أزمة السكن المفروضة على المدينة بحكم نموها السريع في مختلف الميادين، غير أنها جانب الأهداف المرسومة لها من قبل المختصين والمقررين وزادت في معاناة المواطن اجتماعيا وترفيهيا وصحيا.



الشكل (V-18): المنطقة السكنية الحديثة الغربية.

- حي 726 مسكن-

المصدر: الديب، ب، 2001.



الصورة (V-17): سكنات بحارة الوادي.

المصدر: الباحث 2011.



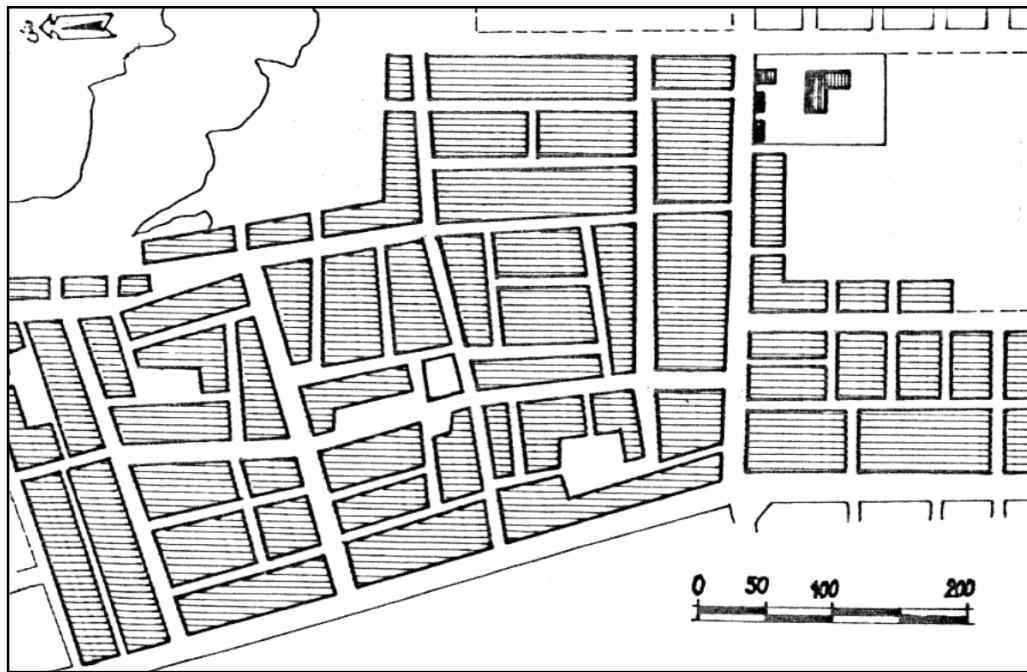
الصورة (V-16): سكنات جماعية بالعالية.

المصدر: الباحث 2011.

3-3- التجزئة (Le Lotissement):

تأخذ هذه الصورة نفس الطابع وتتوسع بنفس خصائص المدن الجزائرية كلها، علاوة على أنها تزيد في طبع البيئة العمرانية للمدينة بشكل يخالف الطابع العمراني والمعماري المحلي للمجمعات السكنية جنوب المدينة سيما في غلافها الخارجي الذي يحمل بعض السمات الأوربية كالنافذة الكبيرة المفتوحة والتصميم الداخلي الذي يبدو أنه تنصل من العناصر المعمارية المحلية كوسط الدار والروزنة والحوش و...، غير أنها أخذت صورة تشبه إلى حد بعيد صورة الأنسجة العشوائية إذ لا تختلف عنها إلا في شبكة طرقها المنتظمة لا غير، ورغم حداثة إنتاجها وسبق

تخطيطها ومراقبتها من قبل الهيئات المنوطة بذلك نظرا لأسباب عديدة، كما يلاحظ أنها واقعة بمحاذاة المناطق الحضرية الحديثة للسكن حيث تظهر الهوة الكبيرة بين النسيجين على مستوى المجال الخارجي، إذ تبدو عبارة عن شبكة عمرانية تميزها الشوارع المتقاطعة لتحديد وحدات سكنية في أغلب أشكالها منتظمة، في حين يتميز النسيج الآخر (المنطقة الحضرية) بالمجالات الواسعة التي تتوسط العمارات، ومن جهة أخرى يبدو الامتداد الأفقي للأولى والرأسي للثانية إضافة للكثافات التي تختلف من حي لآخر، وتبقى تخطيطات هذه التجزئات مجرد تقسيم هكتارات من الأرض تفتح بواجهة في أغلب الأحيان على الشارع لتسهيل الأشغال والتموين بمختلف الشبكات الضرورية بعيدا عن كل المضامين التي ترتقي بها من مجرد مجال للمأوى إلى مجال للسكن المريح الذي يلبي الحاجة الإنسانية في هذه المدينة بكل أبعادها النفسية والاجتماعية.



الشكل (19-٧): تجزئة حي السعادة بالعالية.
- نمط تعمير فردي- محاولة لاحتواء نسيج عمراني غير مراقب.

المصدر: الديب، ب، 2001.

إن القواعد العمرانية المدرجة ضمن هذا السياق من قبل الهيئات المعنية لم تحظ بالاحترام اللازم حيث تحولت هذه التجزئات إلى أحياء طابقتها الأرضي يحوي وظائف لا تتناسب حتى مع طبيعة الحي السكنية، وغابت المساحات الخضراء التي تتقدم مداخل السكنات والتي فرضت كقاعدة يجب احترامها على مستوى الوطن كله سيما والمدينة يكتنفها مناخ حار يتطلب مثل تلك المجالات، ونعزو ذلك إلى تدني المستوى الحضاري وعدم الإحساس بقيمة المجال المعيشي باعتباره البيئة الحقيقية للإنسان فردا وجماعة.

وقد نتج عن هذا التعمير بالمدينة نشوء هيكله حضرية عامة يمكن تقسيمها إلى:

*** مركز حضري رئيسي:**

ممثلا في مركز المدينة، يضم الأنشطة والوظائف ذات المستوى العالي مشكلا بذلك القطب المهيمن في المدينة.

*** مركز حضري ثانوي:**

تشكله مجموعة التجهيزات الكبرى الموقعة على محور طريق سيدي عقبة (المستشفى، الجامعة، المركب الرياضي).

*** قطب للخدمات:**

مكونا من التجهيزات والمرافق الموقعة على الطريق الوطني رقم (03) المؤدي إلى باتنة (منطقة التجهيزات)، حيث يعد هذا المركز امتدادا للمركز الحضري الرئيسي.

*** قطب تجاري:**

ممثلا في حي زقاق بن رمضان وحي البخاري، يتميز بتركز النشاط التجاري بمجال نفوذ يغطي كامل أحياء المدينة مما أهله إلى احتلال مكانة وظيفية ضمن البنية الحضرية للتجمع.



الصورة (18-V): حي زقاق بن رمضان. الصورة (19-V): حي البخاري. الصورة (20-V): المركز التجاري.

المصدر: مديرية التعمير والبناء ببسكرة.

*** قطب صناعي:**

تشكله المنطقة الصناعية التي تلعب دورا مهما في حياة المدينة والديناميكية المجالية لها.

*** مناطق السكن الكبرى:**

تتمثل في الأحياء الكبرى للمدينة مميزة بسيطرة السكن الفردي اللاشعري (سيدي غزال، العالية، ...) بالإضافة إلى المنطقتين السكنيتين الحضريتين (ZHUN est ; ZHUN ouest). وقد أنجزت هذه التوسعات الجديدة للمدينة على طول المحاور الطرقية التالية:

- الطريق الوطني رقم (03) باتجاه باتنة.

- الطريق الوطني رقم (46) باتجاه بوسعادة.

- الطريق الوطني باتجاه أريس.

- الطريق الوطني باتجاه سيدي عقبة.

وقد أتت في شكل توسعات سكنية فوضوية وعفوية.



الصورة (23-٧): توسع الجهة الشمالية - العالية-



الصورة (22-٧): توسع على طول الطريق المؤدي إلى شتمة.



الصورة (21-٧): توسع على طول الطريق الوطني رقم (03).

المصدر: مديرية التعمير والبناء ببسكرة.

أما النسيج الحضري للمدينة فهو يتهيكل عموما بكل من:

* نهج الأمير عبد القادر:

ويعتبر الشارع المهيكل الرئيسي للمدينة بأكملها إذ يربط بين شرق وغرب المدينة، وذو كثافة سير عالية ومتوسط عرضه 12 مترا ويوجد جسر مار فوق السكة الحديدية الذي ينشط بدوره حركة لتتنقل السيارات، ويمكن تدعيمه بشارع صولي الشريف المتواجد بجانب محطة السكة الحديدية والرابط بين هذا الجسر الشارع الرئيسي طوله الإجمالي يقدر بـ 1141,10م.



الصورة (24-٧): شارع الأمير عبد القادر.
المصدر: مديرية التعمير والبناء بسكرة.

* نهج أول نوفمبر:

وهو أهم الشوارع وأوسعها في المدينة، يربط بين شارع الجمهورية ونهج الأمير عبد القادر الذي يبلغ متوسط عرضه 15,00 مترا، هذا الشارع المميز ذو أرصفة عريضة والتي تحتوي على مساحات خضراء وممرات مغطاة متكونة من أقواس مميزة فطوله الإجمالي 252,20م، وشارع الإخوة مناني الذي يتميز بوجود مساحات خضراء تتوسط الطريق يبلغ عرضها الإجمالي 25,00 مترا، أما طوله فهو يقدر بـ 571,90م.

*** شارع الجمهورية:**

ويعتبر من الطرق الهامة بالمدينة ويربط بين نهج أول نوفمبر وشارع الدكتور سعدان، ويقدر عرضه الضيق بين 6,00م إلى 8,00م ويحاذيه شمالا حديقة 05 جويلية، وغربا منطقة مزدوجة مشتركة (سكنات + تجهيزات خدماتية)، ونظرا لموقعه وحالته الجيدة ورغم ضيقه فهو يكون حلقة وصل تدفقات السير الميكانيكية الآتية من شرق المجال باتجاه غربه أين يوجد الجسر الأنف الذكر، فطوله الإجمالي يقدر بـ 679,71م نظرا للأهمية البالغة لهذا الشارع الذي يتميز بكثافته وخدماته.



الصورة (V-25): شارع الجمهورية.
المصدر: مديرية التعمير والبناء بسكرة.



الصورة (V-26): صورة عامة للمدينة اليوم.
المصدر: Google earth/ 26/04/2011

خلاصة:

إن توالي الحقب الزمنية على المجتمع يؤدي إلى إحداث تراكم للخبرات التي تتوارث عبر الأجيال ويظهر صداها على المجتمع متجليا في أنسجته العمرانية، وهذا ما نجده في مدينة بسكرة التي تطور نسيجها العمراني تطورا ملحوظا، هذا النسيج الذي كان في بداية تشكله يضم تركيبة عمرانية بسيطة في وسائلها وإمكاناتها إلا أنها ذات مدلول اجتماعي وثقافي كبير استطاعت أن تستوعب الإنسان بكل أبعاده بفضل قيمة الانتماء المجالي العالية عند سكان هذه الأنسجة التقليدية التي تشهد تكاملا مجاليا قائما بين بيئتها الداخلية والخارجية من خلال التدرج المجالي مما يضمن التواصل الاجتماعي الذي تكون المركبات المختلفة لهذه الأنسجة مسرحا له.

ومع دخول المستعمر فقد جاء بنمط معماري وعمراني جديد نابع من ثقافة غريبة عن هذا المجتمع وبأهداف مختلفة فتغير نمط التعمير من خلال زرع مستوطنة فرنسية تقوم على مخطط شطرنجي بمحلات سكنية موحدة من ناحية الحجم والشكل والمساحة، فانقسمت المدينة إلى نمطين أحدهما جديد بتقنيات حديثة وبمعطيات صحية وعمرانية لضمان الحياة الأفضل للمعمرين، وآخر عتيق ممثل في تجمعات سبعة مدمجة داخل واحات النخيل نابع من شكل السواقي وبمواد بناء محلية بسيطة، وقد امتاز كل نمط عمراني منهما بنوعية من الخدمات ذات طبيعة خاصة يوفرها لساكنيه.

وبعد الاستقلال عرفت مدينة بسكرة إنتاجا عمرانيا ومعماريا لا يمثل سوى ثقافة المستعمر وعلى حساب السكان المحليين، والأدهى من ذلك كله أن هذه الخطة أصبحت هي المرجعية الأساسية التي تستند عليها عمليات التوسع المستقبلية للمدينة متجاهلة بذلك النواة الأولى للمدينة وهي المدينة العتيقة التي ينبغي جعلها كمنطلق للتوسع وبمراحل ثابتة تمتص من خلالها النقائص التي تواجهها المدينة من حين لآخر على مستوى الشبكة العمرانية وتقلل من الهوة الموجودة بين النمطين العمرانيين والمعماريين المتواجدين بالمدينة وهذا من خلال إحداث توازن في الأنسجة اللاحقة عمرانيا ومعماريا بما فيها التجزئات والأحياء الغير مراقبة والأحياء القديمة، هذه الأخيرة التي عانت من التهميش والاندثار منذ الفترة الاستعمارية التي يعد نتاجها المعماري والعمراني البذرة الأولى نحو تغيير الأنسجة العمرانية بالمدينة.